

أنا وأنت على الطريق

التحرش الجنسي في مصر

صديقتي المستمعة،

التحرش الجنسي في مصر يطال الصغيرة والكبيرة، المصرية والسائحة بنسبة تصل إلى ٩٨% . هذا هو عنوان تقرير ورد منذ فترة يعرض مشكلة هامة في المجتمع المصري، هذه المشكلة التي تخص المرأة وتتغص عيشها. فتعالى سيدتي نستمع إلى ما جاء فيه:

لا يهم إن كانت المرأة شابة أو كبيرة في السن. ولا يهم أن تكون مصرية أو أجنبية، فقيرة أو من الطبقة الوسطى أو الثرية. كل هذه الأمور لا تهم. كما لا يهم إن كانت ترتدي الحجاب أو النقاب أو الملابس الغربية. فإذا كنت تعيشين في القاهرة يقول التقرير ، فإن فرص التعرض للتحرش الجنسي واردة، بل وكبيرة. ذلك أن التحرش يحدث في الشوارع وفي حافلات النقل المزدحمة وأماكن العمل والمدارس وحتى في عيادات الأطباء. ووفقا لدراسة أجراها المركز المصري لحقوق المرأة في العام ٢٠٠٨ تبين أن ٩٨% من النساء الأجنبيات و ٨٣% من المصريات تعرضن للتحرش الجنسي. ماري روجرز الصحفية والمصورة في CNN تعرضت للتحرش . إذ بينما كانت تتجه إلى منزلها اقترب منها سائق سيارة شاب وصرخ قائلاً: عاهرة، رغم أنها بعمر أمه. وقبل أن ترد عليه كانت السيارة قد ابتعدت. بينما كان هناك شرطي في الجوار يقهقه على المشهد.

لكن ما هو سبب التحرش الجنسي في مصر ؟ هناك ثمة أسباب عديدة، لكن كثيرين يشيرون إلى أن السبب الرئيسي هو عدم احترام حقوق الإنسان. وتقول مديرة المركز المصري لحقوق المرأة: مصر تهتم بالأمن السياسي أكثر من اهتمامها بالأمن العام. فيركز المسؤولون على منع القلاقل والاضطرابات السياسية أكثر من تركيزهم على أمراض المجتمع. أما البعض الآخر فيلقي بالمسؤولية على التفسيرات المحافظة التي أخذت تتدفق على البلاد من منطقة الخليج منذ ثلاثين عاما والتي تطالب بمزيد من التقيد على المرأة وتدين النساء اللواتي يخرجن من منازلهن للعمل أو لأي شيء آخر. وللدرد على ظاهرة التحرش الجنسي فإن الحكومة المصرية تدرس قانونا لتعريف واضح للتحرش الجنسي. ولقد صدر حكم على شاب بالسجن ثلاث سنوات مع العمل الشاق بعد أن تعرض لشابة وتحرش بها مما أدى بها إلى التوجه إلى المحكمة ورفع قضية ضده. ورغم الحملات المناهضة للظاهرة، واحتمال إصدار قوانين ضدها، إلا أن الأمر الوحيد الذي قد يحمي المرأة من التحرش الجنسي في شوارع القاهرة المكتظة هو التغيير في مواقف الرجال الذكور عموما. إلى هنا ينتهي التقرير.

وتبقى المرأة هي المستهدفة في وسط مجتمع ذكوري لا يحترم حقوقها ولا حتى الأولوية منها. على الرغم من أنها صارت تعمل إلى جانب الرجل وتكد وتتعب في تأمين حاجات العائلة، إلا أنها تبقى محطة لتفيس غرائز الرجل الغريب والمكبوت في الشوارع والأحياء وكذا في أمكنة العمل وحافلات النقل والقطارات. وإن أفضل كلمة تقال على الرغم من الأسباب الكثيرة المتعددة في هذه التحرشات التي هي البطالة والجهل وعدم الاحترام والنظرة الدونية، والاستغلال، فهي أن يغير الذكور في مجتمعاتنا العربية خاصة طريقة تفكيرهم عن النساء نصف المجتمع ومواقفهم تجاه المرأة.

إذا عدنا إلى الكتاب المقدس يا سيدي، فإننا نجد كيف أن الله سبحانه وتعالى هو الذي وضع مؤسسة الزواج ومنذ بداية الخليقة أي منذ أن خلق آدم وحواء أبونا الأولين. وذلك لكي يكون هناك ترتيب للعائلة ونظام يسير عليه الإنسان فيحب امرأته وينجب منها ويبنى عائلة، وهكذا يحافظ على هذه العلاقة مقدسة ومعافاة، ويحفظ الإنسان من الزلل والتعدي. وعاد وأكد الله بروحه القدس في العهد الجديد أيضا على قدسية الزواج والعلاقة بين الرجل والمرأة فقال: "ليكن الزواج مكرما عند كل واحد والمضجع غير نجس. وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله." (عب ١٣ : ٤)

ويقول الرسول بولس في رسالته لأهل كورنثوس : وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة. ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها. إذن لسبب الزنا ، وضع الله سنة الزواج حتى يكون للزوج زوجته وللزوجة زوجها أيضا. وعندما لا يعيش الإنسان ضمن قانون الله الذي سنّه في مشروع الزواج، وعندما لا يستطيع كبح جماح شهواته وغرائزه والسيطرة عليها، نراه يعتدي على الفتيات ويتحرش بهن لأنه الأقوى وهنّ الأضعف. ومهما كانت الأسباب وراء هذه التحرشات والاعتداءات فإنها تبقى غير مبررة. بل تضع الإنسان تحت قانون الله قبل أن يكون تحت قانون البشر. لأن من نظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه. هذا بالضبط ما قاله الرب يسوع المسيح. هذا هو القانون الذي يتكلم عنه الرب في العهد الجديد. والله أوصى الإنسان منذ القديم قائلا: لا تزن. ترى هل يعود الإنسان إلى رشده ، ويرجع عن غيّه ويتوب عن شهواته فيعيش ضمن خطة الله المقدسة لحياته؟
